رؤية في سبل تدريس النحو العربي

محاسن أحمد محمود قربان

mahasen-1112@hotmail.com

الملخص: يُسْتَخْلَصُ من هذه النتائجِ أنَّ النحوَ العربيَّ كغيرِه من العلومِ له مطوَّلاتٌ و شروحٌ مُسْتَفِيضَةٌ و مُصَنَّفَاتٌ مُعَقَّدَةٌ، و لكن يقابلُ كلَّ ذلك مختصراتٌ مُسَهَّلَةٌ و كُتُبٌ مُيَسَّرَةٌ و أخرى شَارِحَةٌ لغوامِضِ مُصَنَّفَاتِه، و هو علمٌ ليس بالسَّهْلِ و لا بالصَّعْبِ لا يختلفُ عن غيرِه من العلومِ؛ علمٌ لا يَنْزِلُ وَحْيَاً على دارِسِه، بل يُلْزِمُه بالاجتهادِ في الطَّلَبِ و التطبيقِ و المحافظةِ عليه؛ فلا استحالةَ في استيعابِه، و لا عَجْزَ و لا غباءَ في عقولِ دارسيه، لاسيما إذا اتضحَ الهدفُ و وُجِدَ المنهجُ الملائمُ؛ لذا فلا يصحُّ نَعْتُه بالصعوبةِ و التعقيدِ، و لا تَسْتَدْعِي إشكاليةُ فَهْمِه إلغاءَ دراستِه والاكتفاءَ بقراءةِ النصوصِ الفصيحة.

مقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، و الصلاةُ و السلامُ على أشرفِ الأنبياءِ و المرسلين نبيّنا و سيّدِنا محمد و على آله و صحبه أجمعين..أما بعد:

فقد تعالت الصيحاتُ المطالبةُ بتيسيرِ الدَّرْسِ النَّحْويّ و تجديدِه؛ لذا ألَّفَ الغيورون من أهلِ اللغةِ مؤلفاتٍ ومختصراتٍ كانت صدىً لهذه الدعوات، اسْتَخْلَصَتْ الجوهرَ، و سَهَّلَت الصَّعْبَ، و أبرزت النحْوَ العربيَّ في إطارٍ جديدٍ مبنيّ على أسسٍ سليمةٍ و ضوابطَ منطقيةٍ مستوفيةٍ لشرائطِ الدَّرْسِ العلميّ، مع ذلك مازالت الشكوى من صعوبةِ النحوِ العربيّ مستمرةً، و عزوفُ الدارسين عنه متزايداً، لذا اهتم هذا البحثُ بتوضيحِ سبلاً لتدريسِ النحو؛ هادفاً بذلك تعريفَ أساتذةِ الدرسِ العربيّ بهذه السبل، و من ثَمَّ تَبْصِيرَهُم بضوابطِها، و كيفيةِ تحقيقِها، و مناهجِ تطبيقِها؛ لتكونَ خيرَ معينٍ لهم في تقديمِ الدرسِ النحويّ و مواجهةِ مشكلاتِه و التغلُّبِ عليها،

بدلاً من المناداةِ بإلغاءِ دراستِه بحجةِ صعوبتِه و عدمِ الجدوى منه، و تحقيقاً لهذا الهدفِ تناولَ السبلَ الآتية: (التهيئة النفسية، اختصار المادة العلمية، تنمية المهارات النحوية، التعليم الذاتي)، و هذه السبلُ معلومةٌ تحدَّث عنها الكثير، و إن كانت كلُّ واحدةٍ من هذه السبلِ تقتضي بحثاً قائماً بذاته، إلا أن الباحثةَ رأت الأخذَ بها مجتمِعَةً متضافرةً، و أوضحَتْها بأسلوبِها الخاص، إذ لم تكن نصوصاً منقولةً من كتابٍ معين، فما هي إلا انطباعاتٌ شخصيةٌ و وجهاتُ نظرٍ رأت الأخذَ بها لأجلِ تيسيرِ العمليةِ التعليمية، أما مناهجُ الاختصارِ و ضوابطُ التنميةِ المهاريةِ، فلم تُقْتَبَسْ من أيِّ مُؤَلَّفٍ، بل اُسْتُنْبِطَتْ من خلالِ الاطلاعِ على بعضِ المختصراتِ النحويةِ و الصرفية، و من ثَمَّ استنباطِ مناهجِها و طرقها المتبعة؛ لتُتَّخَذَ نبراساً يُهْتَدَى به لمن أرادَ الخوضَ في هذا الفنِّ من التأليفِ، و قد أُلِّفَت هذه المختصراتُ لطلابِ المرحلة الجامعية، و كانت مختارةً على سبيل المثال لا الحصر و هي: (إعراب القرآن الكريم والتطبيق النحوي و الصرفي لعبده الراجحي، مختصر النحو لعبد الهادي الفضلي، النحو الكافي لأيمن عبد الغني، النحو الميسر لأحمد عبد المعطي، العربية الجامعية لغير المتخصصين و مهارات العربية في النحو و الصرف لعبده الراجحي، الصرف الميسر عبد الشكور فارح، تيسير الصرف لعبد القادر الفيضي و عبد الله الدرامي)، و قد خُتِمَ هذا البحثُ بخاتمةٍ قُدِّمَت فيها نتائجُ البحثِ و خلاصتِه.

سبل تدريس النحو العربي:

أولا: التهيئة النفسية: مما أكَّدَه خبراءُ التربيةِ ضرورةَ التهيئةِ النفسيةِ لدراسةِ المادةِ العلميةِ بتكوينِ اتجاهاتٍ نفسيةٍ إيجابيةٍ تجاه المادةِ العلميةِ المدروسةِ من خلالِ ترغيبِهم و تشجيعِهم على الاجتهادِ في التعلُّمِ بكلِّ همَّةٍ و نشاط، و من أهمِّ السبلِ التي يتوجَّبُ على المعلمين و المسؤولين اتباعُها لترغيبِ الدارسين في الدرسِ النحويِّ ما يلي:

1- التعريفُ بهدفِ الدراسة؛ فالكثيرُ يجهلُ الغايةَ من دراسةِ علوم اللغة لاسيما النحوِ، فهي في ظنِّهم مادةٌ إضافيةٌ لا قيمةَ لها في حياتِهم و مستقبلِهم المهنيِّ، لا يحتاجُها إلا المتخصصون في اللغةِ و الأدب و علوم الدين؛ لذا يجبُ التنبيهُ على وظيفةِ اللغةِ

الفصحى و أهميتِها؛ فهي لغةٌ وظيفيةٌ مضبوطةُ القواعدِ؛ و هي بذلك أهلٌ لأن تكونَ لغةً للتعليمِ و الخطاباتِ الرسمية، لا في العربيةِ وحدِها بل في جميعِ اللغات؛ فالفكرُ العالي و الفلسفةُ السَّامِيَةُ يقتضيان لغةً عاليةً مضبوطةً لا إسفافَ فيها و لا تحريف، و من ثَمَّ فهي جزءٌ من شخصيتِه تعكسُ ثقافتَه و رقيَّه الفكريَّ، يحتاجُها المتخصِّصُ و غيرُ المتخصصِ ليعبِّرَ بها عن فكرِه و أغراضِه، فمحالٌ أن تُكْتَبَ الكتبُ العلميةُ باللغةِ العامية، و إن اتسمت بالسهولةِ و العفويةِ إلا أنها لا توظَّفُ في التعبيرِ عن العلومِ و توضيحِ دقائقِ الفكر، وإنه لأمرٌ مهينٌ أن يقفَ المتعلِّمُ عاجزاً عن التعبيرِ بلغةٍ علمية عن أبسطِ الأفكارِ و أيسرِ الأغراض، يَتَلَعْثَمُ و كأنه مصابٌ بجميع أمراضِ الكلام، صامتاً و كأنَّه لم يمرَّ يوماً بدورِ علمٍ أو يقرأ كتاباً علميًّا.

2- التعريفُ بالعواقبِ الوخيمةِ المترَتِّبَةِ على إهمالِ الدَّرْسِ العربيّ و الجهلِ بقواعدِ النَّحْوِ؛ و هي كالتالي:

- انقطاعُ الصلةِ بين النشءِ العربيّ و تراثِه؛ فالفصحى تبدو له لغةً غريبةً و كأنَّها أتَتْ إليه من عالمِ الخيال، إذ لا وجودَ لها في واقعِه، فهي لغةٌ لم يتعلَّمْها و لم يستخدمْها، و لم يُسْبَقْ له قراءتُها أو سماعُها، فلا وعيَ له بمفرداتِها و لا دقائقِ نظمها؛ فلا سبيلَ لاكتسابِ سليقةٍ لغويةٍ سليمةٍ و تعزيزِ المهارةِ اللُّغويةِ إلا بدراسةِ قواعدِ الفصحى و قراءةِ نصوصِ التراث.
- ضلالُ العقولِ عن فهْمِ القرآنِ و السنة النبوية؛ إذ لا طريقَ لتعلُّمِهما إلا بفَهْمِ قواعدِ اللغةِ و استيعابِ دقائقِ أسرارِها، فإذا هُجِرَت سينشأُ حينَها جيلٌ لا وعيَ له بلغةِ التراث و لا درايةَ له بالدينِ و أحكامِه.
- قَطْعُ الصلةِ بين الدولِ العربية، بل بين أبناءِ الدولةِ الواحدة، فكلُّ دولةٍ لها لهجتُها الخاصَّةُ، بل كلُّ دولةٍ محتضنةٌ عدةَ لهجات ، و لو ألَّفَ أهلُ كلِّ قُطْرٍ كتاباً، أو كَتَبُوا بحوثاً و مقالاتٍ بلغاتهم العاميَّةِ لوجدْنا أنفسَنا أمامَ كمٍّ هائلٍ من اللَّهَجَات، و محالٌ أنْ يستوعبَ أيُّ دارسٍ (العربي و غير العربي) جميعَ اللهجاتِ العربيةِ أو يَسْتَسِيغَها؛ و بذلك تنقطعُ أواصرُ الصلةِ بين الدولِ العربيةِ بل بين أبناءِ الدولةِ الواحدةِ،

فلا حلَّ لهذه المعضلةِ إلا بالتوحيدِ اللُّغَوِيّ بين الدولِ العربية، و لا سبيلَ إلى هذا التوحيدِ إلا بالمحافظةِ على اللغةِ الفصحى واعتمادِها لغةً للتعليمِ و الخطاباتِ الرسمية؛ وبذلك سيسهلُ الأمرُ أيضاً على الأعاجمِ المقبلين على دراسةِ العربيةِ لاسيما أن غالبيتَهم يتعلمونها لفَهْمِ القرآنِ الكريمِ و السنةِ النبوية؛ فلا مناصَ في هذا المقامِ من دراسةِ الفصحى التي توحِّدُ المسلمين عامَّةً عربَهم و عجمَهم على حدٍّ سواء.

- تعذُّرُ التَّوَاصِلِ العلميّ و الثقافيّ بين العصورِ نتيجةَ الانقطاعِ اللغويّ بينها؛ فمن المؤكَّدِ أنَّ اللغةَ في تطوُّرٍ مستمرٍّ و تغييرٍ و تبديلٍ؛ فلو اُعْتُمِدَت اللغاتُ المحليّةُ و العاميَّةُ في كتابةِ العلومِ لتَعَذَّرَ علينا فَهْمُ السابقين، و تعذَّرَ على الأجيالِ القادمةِ فَهْمُ علومِ عصرِنا الحاضر، فنحن نقرأُ مؤلفاتٍ لها مئاتُ السنين دون أيِّ عناءٍ أو أيِّ إحساسٍ بغربةٍ؛ لأنها ببساطةٍ كُتِبَت بلغةٍ فصيحةٍ ثابتةٍ مُقَعَّدَةٍ لا تقبلُ التغيير.
- افتقارُ العربيّ لكرامتِه؛ لافتقارِه لغةً عاليةً فصيحةً فنيَّةً إبداعيةً وظيفيةً؛ فهذا الفقرُ دليلٌ على ضعفِ عقْلِهِ و سخافةِ فكرِه، فهو لا يستطيعُ أن يتعلَّمَ قواعدَ لغةٍ و يوظِّفُها في التعبيرِ عن أفكارِه و أغراضِه، لغةٌ هي في الأصلِ لغتُه، و البيانُ و الإفصاحُ بها من طَبْعِه و جِبلَّتِه، و بلاغةُ نَظْمِها من فطرتِه؛ فالعربُ كانوا و مازالوا و سيظلون – بأمر الله – أهلُ فصاحةٍ و بيانٍ و إن أبى الحاقدون. و بالطبعِ نحن لا نطالبُ جميعَ المتعلمين بالتخصُّصِ في دراسةِ اللغة، فاهتمامُنا بالفصحى يتمخَّضُ عنه فريقٌ مختصٌّ في دراستِها مستوعباً لتفاصيلِها، وفريقٌ آخرٌ له ما يشاءُ في اختيارِ تخصُّصِه العلميّ، إلا أنه مُحِيطٌ بأطرافِ لغتِه مستعيناً بالمتبحِّرين إذا ما اقتضت الحاجةُ و دعت الضرورةُ إلى ذلك؛ و بذلك تُحَلُّ المعضلةُ و يُجْبَرُ الكسْرُ.

3- تعزيزُ ثقةِ الدَّارِسِ بنفسِه و استعداداتِه و إمكاناتِه و مهاراتِه، بل قدرتِه على تطويرِها؛ فهو قادرٌ على فَهْمِ قواعدِ العربية؛ لذا فهو قادرٌ على دراستها و توظيفِها في مواجهةِ المشكلاتِ و تحدِّي المصاعبِ لاسيما إذا عُرِفَ الهدفُ و قُدِّمَ له منهجٌ مناسبٌ على يدِ معلِّمٍ مُتَمَكِّنٍ مُسْتَوْعِبٍ لأهدافِ المادةِ و محتواها.

4- تعزيزُ الثقةِ بالتراثِ العربيّ؛ فهو تراثٌ أصيلٌ شامخٌ، و لغتُه من أوسعِ اللغاتِ و أغناها وأكثرِها بياناً و إفهاماً و مرونةً، و أَوْجَزِها عبارةً، و أَجْمَلِهاَ وقْعَاً في الأسماعِ، و أَجَلُّ ما ينبغي الالتفاتُ إليه هو تشريفُ اللهِ عز وجل لها باختيارِها لغةَ كتابِه، فهي مرتبطةٌ به محفوظةُ بحفظِه، و هي بشموخِها و علوِّ قَدْرِها و صُمُودِها آيةٌ من آياتِ اللهِ و عجائبِ قدرتِه التي تَكَفَّلَت برعايتِها و حفظِها مادام هذا القرآنُ مَتْلُوَّاً بالرُّغْمِ من الدعواتِ المحاربةِ لها الحاقدةِ عليها؛ فليست العربيةُ هي التي تُهْمَلُ أو تحقَّر، بل هي اللغةُ الأَجْدَرُ بالاهتمامِ و الأَوْلى بالحمايةِ، بل الاستماتةُ في الدفاعِ عنها من أبسطِ واجباتِها على ناطقيها؛ و ليس العربيُّ من يُجَرِّدُ من إنسانيتِه و كرامتِه و تراثِه ليقفَ أمامَ الأمةِ مطموسَ الهويةِ، عديمَ البيانِ، مسلوبَ الكرامةِ، فهو الأجدرُ بالشموخِ و العزَّةِ و الفخر.

5- تصحيحُ نظرةِ المجتمعِ العربيّ للعلومِ الإنسانية؛ فهي نَظْرَةٌ دونيةٌ تقلِّلُ من شأنِها، فهي ملاذٌ لأصحابِ المستوياتِ المتدنِّيَةِ و ذوي الفهمِ القاصر، الذين سيتولَّون فيما بعد تدريسَ هذه الموادِ بتبليغٍ قاصرٍ يتواءمُ مع فهمِهم القاصر، أما المتميّزون فهم أرقى من دراسةِ هذه التخصُّصَات، و هي أدنى من مستوى عبقريتِهم؛ لذا فأيُّ محاولةٍ جادَّةٍ لتعليمِ العربيةِ فَحَتْماً ستكونُ غيرُ مجديةٍ؛ لأن الدارسَ لم يَفْطِنْ لأهميةِ دراستِها؛ فلا مجتمعاً يهتَمُّ بثقافتِه، أو يعترفَ بجدواها، و لا طالباً لديه دافعيةٌ للتَّعَلُّم، و لا معلِّماً يحسنُ تعليمَ اللغةِ أو يُعَرِّفُ بقيمتِها، و إذا سئلوا عن أهميتِها جعلوها مقصورةً على رجالِ الدينِ و محيي الشعرِ و التُّراثِ؛ فأيُّ محاولةٍ لن تُجْديَ مع هذا المستوى الثقافيّ للمجتمعِ العربيّ؛ لذا يجب تحذير الدارسين من التأثر بهذه النظرة. و لكن ثمةَ أمرٍ يُثْلِجُ الصدرَ، و هو أن الدَّارسَ العربيَّ — مع هذه النظرة – يرفضُ الهمجيةَ اللُّغويةَ المتَمَثِّلَةَ في استعمالِ لغةِ الشَّارعِ و الحياةِ اليوميَّةِ العفويَّةِ كلغةٍ للتعليم، و الإعلامِ، و الخطاباتِ الرسمية، و الخطب الدينية..الخ؛ ذلك لأنَّ الحِسَّ الحَضَارِيَّ جائلٌ في وجدانِه، إذ لا يوجدُ شعبٌ متحضِّرٌ يقبلُ بهذه المهزلةِ الرخيصةِ، و الدارسون إن تذمَّروا من دراسةِ العربيةِ فهذا بسببِ جَهْلِهِم بأهميتِها كلغةٍ للتعليم، و تواضعِ شخصيتِهم الثقافيةِ؛

لذا ينقصُهم مع هذا الحسِّ الحضاريِّ لَفْتُ انتباهٍ إلى أهميّةِ تعلُّمِها؛ حتى يتنبَّهوا لها، فيحسنوا دراستَها، و توظيفَها بعد ذلك في مواقفِ الحياةِ المختلفةِ التي تتطلَّبُ هذه المهارة.

ثانيا: اختصار المادة العلمية:

إن الهدفَ الرئيسيَّ من اختصارِ المادةِ العلميةِ هو تقريبُها و تيسيرُ استيعابِها و تسهيلُ تدريسِها؛ و ذلك بالتَّعَرُّفِ على الأفكارِ الرئيسةِ و تركيزِ الانتباهِ على القضايا الهامَّةِ في عصرٍ تَعَدَّدَت فيه مجالاتُ المعرفةِ و غَزُرَت مصادرُها، و لا شكَّ أنَّ في هذه المختصراتِ استثماراً للوقتِ المسْتَغْرَقِ في قراءةِ الكتبِ الأصيلةِ، و توفيراً للجهدِ المبذولِ في الوصولِ إلى لبِّ موضوعاتِها.

و لا تخفى على أيِّ مُتَعَلِّمٍ صعوبةُ المؤلفاتِ النحويةِ القديمةِ و تَوَعُّرُ أساليبِها لما حَوَتْهُ من شروحٍ و مُطَوَّلَاتٍ و كُثْرَةِ عللٍ و مجادلاتٍ عقيمةٍ أَغْرَقَت المتعلمين في الغموضِ و الإبهامِ بدلاً من إفادتِهم؛ فشكوا من صعوبتِه؛ الأمرُ الذي ترتَّبَ عليه عزوفُهم عنه و ضَعْفُهم فيه؛ مما ألزمَ علماءُ اللغةِ ببذلِ المحاولاتِ الجادةِ في اختصارِ المادة النحوية بغيةَ تسهيلِها و تقريبِها بلغةٍ عصريةٍ سهلةٍ تعينُ المتعلمين على استيعابِ أُسُسِ اللغةِ استيعاباً صحيحاً و فهمِ مذاهبِ العربِ في نَظْمِ كلامِهم فَهْمَاً يرفعُ كفاءاتِهم و يُنَمِّي مهاراتِهم في هضْمِها و من ثَمَّ تطبيقِها في التعبيرِ عن أغراضِهم؛ لذا سنوضحُ منهجَ المختصرين للدرسِ النحويِّ لا للتعريفِ بجهودِهم في هذ الجانبِ، بل للتَّنبُّهِ على الضوابطِ الهامَّةِ الملتزَمِ بها في هذه المختصرات، و يشملُ هذا التوضيحُ جانبين:

الجانب الأول: الهيكل العام للمادة العلمية.

الجانب الثاني: محتوى المادة العلمية.

الهيكل العام للمادة العلمية: و يعنى به تخطيطُ المادةِ العلميةِ من الناحيةِ الشكليةِ و يشملُ: ثَبْتَ الفصولِ و الموضوعات، و ترتيبَها و تنسيقَها، و من ثَمَّ ترابطَها؛ و قد لُوحِظَ على هذه المختصراتِ ما يلي:

1- المحافظةُ على الفصولِ و الموضوعات: إذ لم يُحْذَفْ بابٌ من الأبوابِ النحوية؛ فالأصولُ ثابتةٌ، و القواعدُ الجوهريةُ راسخةٌ، لا حذفَ فيها و لا تبديلَ، فقد قُدِّمَ الهيكلُ العامُ للدرسِ النحويّ و أُبْرِزَت ملامحُه دونَ أيّ دراسةٍ تفصيليَّةٍ، فلا إطالةَ لدرسه، ولا طمسَ لهويتِه؛ فالغرضُ التقريبُ و التسهيلُ ، لا الهدمُ و التغريب.

2- المحافظةُ على ترتيبِ الأبوابِ و تَسَلْسُلِ موضوعاتِها مع حُسْنِ تواترِ فقراتِ الدرس؛ فلم يعْمَدوا إلى تفكيكِ مُكَوِّنَات الدرسِ و بَعْثَرَةِ أجزائِه الرئيسةِ لتحذفَ أو تُدْمَجَ في مكوناتِ درسٍ آخَرٍ في بابٍ مُغَايِرٍ. و نحن هنا نريدُ أن نذكرَ السماتِ العامَّةَ للمختصرين لا الفروقَ الفرديةَ التي تُمَيِّزُ كلَّ لُغَوِيٍّ في ترتيبِه للمادةِ النحوية، و هذه السمةُ هي المحافظةُ على ترتيبِ الفصولِ و الموضوعات، و إن اختلفَ الترتيبُ عن الكتب الأصيلة فحتماً سيكونُ ترتيباً منطقياً لا امتعاضَ فيه لتواترِ الأفكارِ، تحويراً مُقَنَّناً وفقَ ضوابطَ و قوانينَ علميةٍ اقتضت ترتيبَ المادةِ العلميةِ و تَدَرُّجَها من السهلِ البسيطِ إلى الصعبِ المركَّبِ؛ حتى لا ينأى بالدارسِ عن الكتبِ الأصيلةِ و يَغْلَقُ عليه فهمُها، فالغرضُ التقريبُ من هذه الكتبِ و تسهيلُها و إلفُ أسلوبِها، لا تشتيتُ ذِهْنِ الدارسِ و إغراقُه في الغموض، و سنذكرُ نبذةً موجزةً لترتيبِ بعضِ المختصرات على سبيلِ المثال لا الحصر:

كتاب (النحو الميسر لأحمد عبد المعطي) نجده بعد الحديث عن أقسام الكلام و مفهوم البناء و الإعراب تحدث عن الأفعال (المبنية و المعربة)، ثم انتقل إلى الأسماء (المبنية و المعربة)، و لما كان مبتدئاً بالأفعال ابتدأ في حديثه عن الأسماء بالفاعل ثم المفاعيل، ثم التمييز و الحال، لينتقل بعدها إلى الجملة الاسمية ، التوابع، و الأساليب، و إعمال المصدر و المشتقات، ثم العدد. و مثله صاحب (النحو الكافي) أيمن عبد الغني بدأ كتابه بالحديث عن أساس النحو وأقسام الكلام، لينتقلَ بعدها إلى الحديثِ عن أقسامِ الفعلِ و كيفيةِ إعراب

المضارع، بعدها تحدث عن أقسامِ الاسم، ثم أوضحَ أحكامَ الإعراب و البناء، تلا ذلك الحديث عن الفاعل و نائبه، فالمبتدأ و الخبر، ثم المجرورات، ثم النواسخ، ثم المفعولات، ثم الحال و التمييز و الاستثناء، التوابع، النداء، الأعداد، إعمال المصادر و المشتقات، ثم الأساليب، و كما لاحظنا ابتدأ بالأفعال ثم أخذ يتحدث عن الأسماء.

و الأمر يختلف نوعا ما عند صاحب (مختصر النحو) عبد الهادي الفضلي؛ فترتيبه قائمٌ على الابتداء بذكر الأسماء (العلم، المرفوعات، المنصوبات، المجرورات، التوابع، الأساليب، الأسماء العاملة) معقبا ذلك بتوضيح كيفية إعراب الأفعال. و في التطبيق النحوي لعبده الراجحي انتقل بعد تحليله للكلمة (الخطوة الرئيسة و الأولية في التحليل النحوي) إلى تحليل الجملة مبتدئاً بالاسمية و مدارسة مكوناتها، لينتقل بعدها إلى تحليل الجملة الفعلية و مكوناتها من الفعل و متعلِّقاته. و في كتابه (التطبيق الصرفي) أعاد ترتيب الأبواب هادفا بهذه الخطوة تقريب المادة العلمية إلى الأذهان، فقسمها إلى ثلاثة أبواب؛ جعل الأول للأفعال و المشتقات، و الثاني للأسماء، أما الثالث فكان للإعلال و الإبدال. و في (الصرف الميسر – تقريب لامية الأفعال لابن مالك –) لعبد الشكور معلم عبد فارح– نجده بعد توضيحه للميزان الصرفي و أحكامه تناول أحكام الأفعال (المجرد و المزيد)، ثم أحكام الأسماء (اسم الفاعل، الصفة المشبهة، صيغ المبالغة، اسم التفضيل..) ، ثم الأحكام المشتركة كالإعلال و الإبدال.

و من الصرف الميسر إلى مختصر الصرف لعبد الهادي الفضلي فهو بعد المقدمةِ و الحديثِ عن علم التصريف ابتدأ بتوضيح تصريف الأسماء و الأحكام المتعلقة بها (المجرد و المزيد، المقصور و المنقوص و الممدود ، المفرد و التثنية و الجمع، الجامد و المشتق، أبنية المصادر و أبنية المشتقات...) أعقبها بتوضيح تصريف الأفعال، مختتما حديثَه بشرح التصريفات العامة (الإبدال و الإعلال، القلب ، و التعويض، الإدغام و الوقف).

على أية حال، فالغايةُ من هذا التعريفِ الموجزِ هو ضربُ الأمثلةِ لترتيبِ الأبوابِ النحويةِ و الصرفيةِ عند المختصرين، و ليس الغرضُ الاستقصاءَ والشرحَ المفصَّلَ.

3- الحفاظُ على المصطلحاتِ الواردةِ في الدرسِ اللغوي؛ إذ ليس من الصوابِ في اختصارِ أيّ مادةٍ علميةٍ استبدالُ مصطلحاتِها بأخرى؛ و إلا كانت الصلةُ مبتورةً بين هذه المختصرات و الكتبِ الأصيلةِ، لاسيما مصطلحات التراث العربي فهي مصطلحاتٌ عربيةٌ أصيلةٌ نابعةٌ من بيئةٍ عربية، دقيقةٌ في دلالتِها، شاملةٌ في إشارتِها، لا يقومُ المعنى إلا بها، و لا يتَّضِحُ السياقُ إلا بإثباتِها.

4- الإبقاءُ على هيكلِ الجملةِ العربيةِ و أنظمةِ بنائها؛ أنواعها (اسمية و فعلية)، مكوناتها (اسم، فعل، حرف)، أركانها (فعل و فاعل، و مبتدأ و خبر)؛ فلا حذفَ و لا إقحامَ يُصْبِغُ الجملةَ العربيةَ بصبغةِ الغرابةِ و الغموض.

5- الاهتمامُ بقضايا النحو الهامة (الإعراب، العامل، العلة).

6- الاعتدالُ في الهوامش: و هذا يعني خُلُوُّها من أيّ استدراكاتٍ أو مخالفاتٍ أو محاولاتِ إصلاحٍ، فلا حواشي و لا تعليقاتٍ زائدةً على النصّ المكتوبِ؛ فهذا من شأنِ المحقِّقِ و المهذِّبِ لا المختصِر، لكن لا ضير من تعريفٍ بأعلام، أو شرحِ كلمةٍ غامضةٍ، أو شرحِ شواهد، أو تعليقاتٍ توضيحية؛ إمعاناً في التوضيح من جهة، و صقلاً لمعرفة الدارسين و تحفيزاً لكفاءة استيعابهم من جهة أخرى، دون سردٍ مملٍّ أو حشوٍ مرفوض.

الجانب الثاني: محتوى المادة العلمية:

و المقصود به التعريف بالمحاور المرتكز عليها في تقديم الموضوع، ففي الدرس النحوي تمثلت هذه المحاور فيما يلي:

1- **التعريف بالمصطلح**: إن تعريفَ المصطلحاتِ يمثِّلُ صورةً ختاميةً لعصائرِ الأفكار، تُبَيِّنُ صلبَ الموضوعِ وتوضِّحُ خلاصتَه؛ لذا كان الابتداءُ به فرضاً رئيساً لكشفِ غموضِ الأفكارِ و تبديدِ ظلامِ المفاهيم.

بناءً على هذه الأهمية اهتم اللغويون المختصرون بتعريف المصطلحات بإيجازٍ غيرِ مخلٍّ و تساهلٍ غيرِ مبتذلٍ، اهتموا بالمعنى الاصطلاحي دون اللُّغوي، تاركين التعاريف المتعددة، آخذين بالشائع المألوف منها، ليُعَرَّف فيما بعد بعبارةٍ واضحةٍ، محدودةٍ، غيرِ مبهمةٍ و لا موهمةٍ بمعنى

مغاير؛ فالهدفُ التعليمُ لا التعقيد. نحو : (تعريف: الاسم المعرب و المبني، الفاعل، نائب الفاعل، المفعول به،...الخ).

2- **توضيح الأقسام الرئيسة لمكونات الدرس**: و هذا مثل توضيح أنواع الكلمة، أقسام الاسم (المعرب و المبني)، أقسام الاسم المبني (الضمائر " منها المنفصل، و المتصل "، أسماء الإشارة، أسماء الشرط، الأسماء الموصولة)، أنواع الخبر، أقسام البدل، صور المنادى..الخ.

3- **الموقع الإعرابي للكلمة**: و يوضح فيه موقع الكلمة من الإعراب، و عملها، و العوامل المؤثرة عليه، نحو: (لن ينهزم الحق): ينهزم: فعل مضارع، الفعل يرفع الفاعل، ينصب لدخول أدوات النصب عليه، و يجزم لدخول أدوات الجزم عليه، (السماء صافية): السماء : مبتدأ، و المبتدأ يرفع الخبر، و إذا دخلت عليه الأفعال الناسخة رفعته و نصبت خبره، و إذا دخلت عليه الحروف الناسخة نصبته و رفعت خبره.

4- **توضيح أحكام النظْم النحوية**: و هذا يعني الاهتمام بالظواهر النحوية المؤثرة في نظم الجملة و معناها، ولا شك أن معرفةَ أصولِ النظمِ لا خلافَ على أهميةِ فضلِها، فهي المطْلبُ الرئيسي في علمِ العربيةِ الذي يبصِّرُ الدَّارسَ بكيفيةِ توظيفِ اللغةِ في إبانةِ المعنى الجائلِ في فكرِهِ و خاطرِه، مثل: (ظاهرة التقديم و التأخير، الحذف و الإثبات، التعريف و التنكير)، و هذا نحو وجوب تقديم الفاعل على المفعول أو تأخيره عنه، وجوب تقديم الخبر على المبتدأ أو جوازه، حذف الخبر، حذف الفاعل..الخ.

5- **تفسير المعاني النحوية**: لاشك أن غايةَ النحوِ إيضاحُ المعنى و إقامةُ السياقِ، فهو مُوَظَّفٌ لخدمةِ المعنى، ضروريٌّ لإقامةِ النحو، فالنحوُ و المعنى متلازمان مقتضيان لبعضِهما و لا قيامَ لأحدِهما دون الآخر؛ لذا يجب الاهتمام بمعاني الحروف (مثل : معاني حروف الجر، الاستفهام، النفي..)، و المفردات (أسماء الاستفهام، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة..)، و الجمل (جملة خبرية، استفهامية، تعجبية...).

6- **الاهتمام بالاستعمالات النحوية للكلمة:** المقصود بهذا القول كيفية استعمال الكلمة (اسم، فعل، حرف) في بناء الجملة العربية؛ فكلُّ كلمةٍ لها معنى خاصٌّ بها و لها خصوصيةٌ في الاستعمال، هذه الخصوصيةُ تشمل عدة نواحي:

- **تلازم الاستعمال:** هو اختصاص بعض الكلمات بجملة ما، أو بأسلوبٍ أو بكلمة ما، مثل اختصاص الحروف الناسخة و الأفعال الناسخة بالدخول على الجملة الاسمية، و اختصاص أدوات النصب و الجزم بالدخول على الفعل المضارع، و اختصاص (نعم و بئس) بالمدح، و اختصاص صيغة (ما أفعله، أفعل به) بالتعجب، اختصاص (لات) بالدخول على (حين).
- **أحوال الاستعمال:** أي الأحوال التي تستخدم فيها هذه الكلمة، نحو: مواضع كسر و فتح همزة (إن)، مجيء الظرف(قط) لنفي الماضي...الخ.
- **مواقع استعمال الكلمة في بنية الجملة لاسيما الأدواتُ النحويةُ و الكلماتُ الوظيفيةُ؛** فمنها ما حقُّه الصدارة مثل (أدوات الاستفهام و الشرط) و منها ما هو للربط بين الجمل (أدوات الربط)، و أخرى حقُّها التأخير كألفاظ التوكيد يجب ألا تتقدم على المؤكَّد.

على أيةِ حال، نحن لا نريدُ سرْدَ الأمثلةِ و لكن نُلْفِتُ الانتباهَ إلى ضرورةِ التنبيهِ على الاستعمالاتِ النحويَّةِ للكلمةِ سواءً أكانت اسماً أم فعلا، أم حرفا؛ ليَتَمَكَّنَ الطالبُ فيما بعد من استعمالِها استعمالاً صائباً و يضعَها في موقعِها المناسبِ.

7- **توضيح القواعد بالأمثلة:** حينما تمَّ تعريفُ المصطلحاتِ النحويةِ و تبيينُ قواعدِها الرئيسةِ و أهمّ أحكامِها – كان لابدَّ من إثباتِ هذه القواعدِ و تنميتِها في الذهن، وذلك بتوضيحِها بأمثلةٍ سهلةٍ مُبَسَّطَةٍ منتقاةٍ من الواقعِ المعاصر؛ فنظْمُ العلومِ و تلقينُ المعرفةِ لا يُحقِّقُ الغايةَ المنشودةَ من التدريسِ و هي الإفهامُ و التعليمُ، إذ لابدَّ من تطبيقِ القواعدِ العلميةِ و التدريبِ عليها من خلالِ الأمثلةِ و التمارين، وعدمِ الوقوفِ عند حدودِ حفظِها أو الاكتفاءِ بتلقينِها، كما لوحظ أنَّ كثيراً من المؤلفاتِ المختصرةِ بالإضافةِ إلى الأمثلةِ و الشواهدِ تَخْتِمُ الدروسَ بتدريباتٍ و تمارينَ تطبيقيةٍ للتثبُّتِ من فَهْمِ الدارسين من جهة، و تنميةِ مهاراتِهم الفكريةِ من جهةٍ أخرى.

8- **الاحتجاج بالشواهد النحوية:** تُعَدُّ الشواهدُ النحويةُ الأساسَ الذي يقومُ عليه النحوُ العربيُّ، فهي الدليلُ على صحةِ القاعدة؛ لذا حَرِصَ النحاةُ على الاستشهادِ على كلِّ حُكْمٍ نحويٍّ بالشعرِ العربيِّ الفصيحِ، و القرآنِ الكريمِ، و الأحاديثِ النبويةِ؛ لتأصيلِ القاعدةِ و الاستشهادِ على صحتِها.

الإعراب في الدرس النحوي:

يُعَدُّ الإعرابُ من أبرزِ خصائصِ اللغة؛ فهو السبيلُ إلى توظيفِ الدروسِ النحويةِ في تفهُّمِ النصوصِ و توضيحِ معانيها؛ لذا سنوضحُ بعضاً من المقوِّمَات الهامَّةِ المعتمَد عليها في التحليلِ الإعرابي، و هي كالتالي:

1- ذكرُ الموقع الإعرابي للكلمة، و حكمه، و علامته الإعرابية ؛ نقول مثلاً في إعراب (محمد) في قولنا:" جاء محمد ": فاعل (موقع)، مرفوع (حكم إعرابي)، و علامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره (العلامة و وصفها).

2- الاهتمامُ بالعلاماتِ الإعرابيةِ المقدَّرةِ، نحو: (أتى موسى) موسى: فاعل مرفوع و علامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها التعذر على الألف، و نحو (هذا كتابي) كتابي: خبر مرفوع، و علامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المكان بالحركة المناسبة للياء.

و هنا ننبّهُ على ضرورةِ الاهتمامِ بالعلاماتِ المقدرةِ و معرفةِ السببِ في عدمِ ظهورها، ليس في هذا إطالةٌ و لا تشتيتٌ، بل توضيحٌ و اهتمامٌ.

3- التنبيهُ على الإعرابِ التقديريِّ: المرادُ بهذا تقديرُ المحذوفِ، سواءً أكان المحذوفُ اسما أم فعلاً أم حرفاً، نحو: حذف الفعل، و حذف الفاعل أو المفعول، و حذف المبتدأ أو الخبر،..الخ. نحو: (اكتب الدرس)، اكتب: فعل أمر، و الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت. و نحو: (أنا – العربي – أحب وطني): يعرب (العربي) مفعولاً به لفعل محذوف تقديره (أخص أو أعني).

4- مراعاةُ الإعرابِ المحليّ: مثالُه الكلماتُ المبنية، و مواقعُ الجمل من الإعراب، منها على سبيل المثال و التوضيح لا الإحاطة و الحصر:

- (هؤلاء رجالٌ أبطالٌ) هؤلاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ.
- (منْ يطرقُ البابَ) من: اسم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.
- (السماءُ تمطر) تمطر: جملة في محل رفع الخبر.

5- ذكرُ الأوجهِ الإعرابيةِ للكلمةِ عند الضرورةِ دون الخوضِ في الخلافاتِ النحويَّةِ المعقَّدَةِ و المجادلاتِ العقيمةِ التي تُغْرِقُ الدارسَ في التِّيهِ و الغموضِ، نحو:

- (ما حضرَ الطلابُ إلا عليّاً أو عليٌّ):عليّاً: مستثنى منصوب، أو بدل مرفوع.
- (اشتريتُ هذا الكتابَ): الكتاب: بدل كل من كل، أو عطف بيان.

6- الاهتمامُ بقضيةِ العامل: لما كان العاملُ يمثِّلُ أهمَّ قضايا النحوِ العربيّ، و أقواها أثراً على روابطِ الكلماتِ في الجملة – كان من الضروريّ أن تَتَضَمَّنَ المختصراتُ النحويَّةُ قضيَّتَه؛ لتقريبِها للدَّارسين و إعانتِهم على فَهْمِ العلاقاتِ بين مفرداتِ الجملةِ، و محاولةِ عقدِ الصلةِ بين العاملِ و المعمولِ بسلاسةٍ و يسرٍ، فعلى سبيلِ المثالِ هناك عواملٌ مؤثرةٌ في الأسماءِ (مثل: لأفعال و الحروف الناسخة)، و أخرى مؤثرةٌ في الأفعالِ (مثل: أدوات النصب و الجزم)، و هناك كلماتٌ مؤثرةٌ عاملةٌ (المبتدأ يرفع الخبر، الفعل يرفع الفاعل و ينصب المفعول به، و أفعال تنصب مفعولين و أخرى ثلاثة مفاعيل...)، فالتفصيلاتُ الضروريةُ لا مناصَ من تبيينِها، لكنَّ الحذرَ من الإطالةِ و التفريعِ و الإسهابِ في التفصيلِ مَفْرُوضٌ.

على أيَّةِ حال؛ فإنَّ أبرزَ سمةٍ يجبُ أنْ يَتَّسِمَ بها مختصرُ الدَّرْسِ النَّحويّ هي سمةُ التَّوَسُّطِ و الاعتدالِ في الأسلوبِ (شكلاً و مضموناً) حذارِ أن تكونَ مختصراتٍ مُخِلَّةً متجاهلةً للتوضيحاتِ الهامَّةِ، تُغْرِقُ الدَّارِسَ في الغموضِ مُتَأَرْجِحاً بين الجهْلِ و عدمِ الفَهْمِ؛ فيضطرُّ إلى العزوفِ عن المادةِ العلميةِ أو الرجوعِ إلى الشروحِ الموضِّحَةِ، فالاهتمامُ بالتفصيلاتِ الضروريةِ و

تبيينُ الأحكامِ الرئيسةِ و تناولُ القضايا الهامَّةِ أمرٌ مفروضٌ، و التَّجَافِي عن الحشْوِ و التطويلِ و الإفراطِ في سردِ التفاصيلِ حُكْمٌ مَقْضِيٌّ، كلُّ ذلك يُقَدَّمُ بلغةٍ سهلةٍ واضحةٍ، بَيِّنَةِ المقْصَدِ، قويَّةِ اللَّفْظِ، رصينةِ العبارةِ، مُحْكَمَةِ السِّيَاقِ، مُبْتَعِدَةٍ عن الابتذالِ، نائيةٍ عن الغموضِ و الإبهامِ، تجعلُ الدَّارِسَ يحيطُ بجواهرِ المادةِ العلميَّةِ و يعالجُ مشاكلَها الرَّئيسةَ ببساطةٍ و رقيٍّ في آنٍ واحدٍ، دونَ تعثُّرٍ في إبهامٍ تقصيرٍ و لا تِيَهٍ في متاهاتِ تفريعٍ.

هذه نبذةٌ عن ضوابطَ يجبُ على المعلِّمين الأخذُ بها عند اختصارِ المادةِ العلمية، في المقابلِ هناك محاذيرٌ يُفْرَضُ عليهم البعدُ عنها؛ توجَزُ في التَّأثُّرِ بمنهجِ بعضِ دعاةِ التجديدِ في النحوِ العربيّ الذين أرادوا هدمَ النحوِ العربيّ و تفكيكَ نظامِه؛ إذ عَمَدَ فريقٌ منهم إلى حذفِ بعضِ أبوابِه، و عَمَدَ آخرٌ إلى إخْضَاعِ الدَّرْسِ النَّحْوِيّ لنظريَّاتٍ علميَّةٍ حديثةٍ ليَتَّفِقَ فيما بعد مع مُعْطَيَاتِ العصرِ الحديثِ و يَنْسَجِمَ مع اللَّهَجَاتِ العربيَّةِ الحديثةِ، و فريقٌ آخرٌ عَمَدَ إلى الجملةِ العربيةِ فجعلَها مجالاً لعملِه بوَصْفِها وِحْدَةً لُغَوِيَّةً أساسيَّةً في المستوى التركيبيّ، و لا مجالَ لبسطِ الحديثِ هنا عن دعواتِهم و منهجِهم و مؤلفاتِهم، و لكنْ نذكرُ بصورةٍ موجزةٍ خلاصةَ ما دعوا إليه لأخْذِ الحيطةِ و الحذرِ دون إفاضةٍ و استقصاءٍ:

1-إلغاءُ قضيَّةِ العاملِ.
2-إلغاءُ الإعرابِ المحليّ و التقديريّ.
3-إلغاءُ العلاماتِ الفرعيةِ (الإعراب بالحروف).
4-إلغاءُ التقسيمِ الثنائيّ للجملةِ العربيةِ.
5-اعتمادُ اللُّغَةِ المنطوقةِ و قَطْعِ الصلةِ بين هذه اللغةِ الحيَّةِ و القواعدِ التقليديَّةِ التي أُسِّسَتْ على لغاتٍ قديمةٍ ندر استعمالها[1]).

ثالثاً: تنمية المهارات النحوية:

[1] - ينظر : اتجاهات النحو عند المحدثين (دراسة و تقويم)، أحمد جار الله الزهراني، الطبعة الأولى، 1428ه/ 2007م، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية. اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة " دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته"، حافظ إسماعيلي علوي، الطبعة الأولى، 2000م، دار الكتاب الجديد المتحدة ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية و الثقافة، طرابلس، الجماهيرية العظمى.

لاشك أنَّ الغايةَ من اختصارِ المادةِ العلميةِ و تطبيقاتِها هي تنميةُ المهاراتِ العلميةِ و الفنيَّةِ للدارسين و المدرّسين على حدٍّ سواء، و مهارةُ الفهْمِ تُحَقَّقُ بِتَجْلِيَةِ المادةِ العلميَّةِ و إبرازِها بدقَّةٍ و إحكامٍ، أما مهارةُ التطبيقِ فتُحَقَّقُ بطرحِ التدريباتِ و التَّنَوُّعِ في طَرْحِهَا؛ و من الواجبِ تعزيزُ مهارةِ الفَهْمِ بمهارةِ التطبيقِ للتَّثَبُّتِ من إتقانِ الدارسين للفهمِ و حَذْقِهِم للُّغَةِ، و من ثَمَّ تمكينِهم من توظيفِ اللغةِ في التعبيرِ عن أغراضِهم المختلفةِ؛ لذا عندما نحرصُ على تنميةِ مهارةِ الدارسين التطبيقية نتناولُ جانبين:

الجانب الأول: مهارة التحليل؛ و يُقْصَدُ بها تدريبُ الدارسين على تحليلِ النُّصُوصِ و استنباطِ ما تَضَمَّنَتْه من ظواهرَ لُغَوِيَّةٍ، و من صور التدريب على هذه المهارة ما يلي:

1-التدريبُ على استنباطِ الظواهرِ اللغويةِ من النصوصِ، نحو: استخرجْ من النص ما يلي: (فاعل، اسم فاعل، جملة استفهامية، صيغة تعجب، حرفين ناسخين و بين اسمهما و الخبر،...الخ).

2-الإعرابُ و ضبطُ النَّصِّ، و هذا يشملُ إعرابِ الكلمات نحو: (أعرب ما تحته خط)، و إعراب الجمل، أو يُدَرَّبُ على تشكيلِ النَّصِّ بالحركات.

3-نقدُ النَّصِّ بتمييزِ الصوابِ من الخطأ، و من التدريباتِ التي تُمَثِّل هذا النقد:

- ضعْ صح أو خطأ أمام العبارات الآتية: (لا أملٌ يرجى من هذا الرجل).
- اخترْ الإجابة الصحيحة: (كان الجوُّ جميلا) (كان الجوَّ جميلٌ).

4-التعليلُ للظواهرِ النحويةِ: نحو التعليل للظواهر النحوية (مسوغات الابتداء بالنكرة، التعليل لظاهرة حذفٍ أو تقديمٍ أو تأخيرٍ كحذف المبتدأ أو الخبر، أو تقديم أحدهما على الآخر، أو حذف فعل أو فاعل...)، أو السؤال عن العلل الإعرابية (نصب الفعل المضارع أو بنائه، نصب المبتدأ أو الخبر ...الخ).

5-التعريفُ بالمعاني النحويَّةِ للكلماتِ و أثرِ السِّيَاقِ في تحديدِ معناها، و قد يأتي السؤالُ بطريقٍ مباشرٍ نحو: ما المراد ب كم في قولنا:" كم كتاباً قرأت "، أو يكون بالمقارنة بين معنى الكلمة في جملتين مختلفتين، نحو: ما الفرق بين (كم) في الجملتين: " كم كتابا قرأت " و " كم كتاب رفع صاحبه" ؟.

و نحو: ما الفرق بين كان في الجمل الآتية: " كان الجوُّ جميلاً"، " ما كان أجمل الفتاة "، " تنفس الصبح فكان الفرج" ؟.

6-شرحُ الظواهر و الأساليب النحوية و تفصيلُها ، و يكون هذا عن طريق الأسئلة:

ما نوع الفعل في قولنا:" جاء علي "، ما نوع الخبر في :" السماء تمطر" ؟، ما نوع المنادى في:" يا محمد أقبل"، و " يا طالعاً جبلا احذر" ؟، ما نوع الاستثناء في " جاء الأبطال إلا عليا "؟...الخ .

الجانب الثاني: مهارة الإنتاج؛ و المقصودُ بها تدريبُ الدارسِ على استدعاءِ الألفاظِ و إنتاجِ الجملِ المعَبِّرَةِ المنظومةِ وفقَ قواعدِ اللغةِ؛ ليستخدمَها في مواقفِ الحياةِ و يَرْبِطَها بواقعِه المعاصرِ، فيكونَ مُنْتِجَاً للألفاظِ و الجمل، و هذا مثل:

1-تمثيلُ المطلوبِ في جملةٍ مفيدةٍ، نحو: مثِّلْ لما يأتي في جملةٍ مفيدةٍ: (فعل ناسخ و بين اسمه و خبره، مبتدأ و خبره جملة اسمية، فعل متعدي لمفعولين و آخر لثلاثة مفاعيل، فعل أمر لجمع مذكر سالم...الخ).

2-اختيارُ اللفظِ المناسبِ في السياقِ المناسبِ، مثالُه: املأ الفراغَ باللفظِ المناسب:

- ضع الفعل الناسخ أو الحرف الناسخ المناسب: (....الشمسُ مشرقةً)، (... الشمسَ مشرقةٌ).
- أدخل أداة النصب أو الجزم المناسبة: (...يلعبْ الأولادُ في المدرسة)، (...يركبَ محمدُ الخيلَ).
- اختر الإجابة الصحيحة: (جاء الولد ضاحكاً – ضاحكٌ)، (أكلت الرغيفَ ثلثَه – ثلثِه).

3-التدريبُ على صياغةِ اللَّفْظِ، و التَّكْلِيفِ بالتَّحْويلِ و النَّقْلِ من صيغةٍ إلى صيغةٍ أخرى، نحو:

- هات صيغة التعجب من العبارة الآتية (الفتاة جميلة). اجعل الفعل لازما (قطعت السيول الاتصالات). اجعل الفعل متعديا (انسكب الماء).

- اجعل الخبر المفرد جملة (محمد كريم الخلق)، اجعل الخبر الجملة مفرد (هذا الرجل أفكاره عميقة).

على أية حال؛ فإن الغايةَ من هذه التدريبات هي تنميةُ مهارةِ الدَّارِسِ الإنتاجية؛ لذا فإن من أبرزِ السماتِ التي يجبُ مراعاتُها في صياغتها ما يلي:

1- **التنويع**: تتنوَّعُ صيغُ الأسئلةِ و التدريباتِ و محاورِ اتجاهاتِها تبعاً للأهداف (تحليل، تركيب، تحويل، نقد، تدقيق)؛ و لا شكَّ أنَّ في هذا التنويعِ توسيعاً للقدراتِ التعليمية، و تنميةً للمهاراتِ، إثراءً للخبراتِ، إعانةً على الفهمِ و التحصيلِ، تعويداً على التركيزِ و الانتباهِ الدقيقِ؛ و بذلك يُدَرَّبُ الدَّارِسُ على مواجهةِ المشكلاتِ اللُّغَوِيَّةِ بل التَّغَلُّبِ عليها.

2- **الاتزان**: يجبُ أنْ تُوَازِنَ هذه التدريباتُ بين السهولةِ و الصعوبةِ؛ فتكونَ الأسئلةُ واضحةً مباشرةً، بعيدةً عن الأساليبِ الملتويةِ، مع دقَّتِهَا و عُمْقِها في تناولِها لصلْبِ الموضوعاتِ و جواهرِ الدرسِ اللُّغَوِيّ.

3- **الترابط المعرفي**: يُلْزَمُ الرَّبْطُ بين علومِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيّ (الصرف، النحو، علم الدلالة)؛ فَتَغَيُّرُ الصِّيَغِ يُغَيِّرُ المعنى، و يؤثِّرُ على نَظْمِ الجملةِ و إعرابِها، لذا لابدَّ من الانتباهِ لهذا الجانبِ الذي لا يقومُ الدَّرْسُ اللُّغَوِيُّ إلا به.

ثالثاً: التعليم الذاتي:

و هو أن يتعلَّمَ الدَّارِسُ و يكتسبَ مهاراتٍ بالاعتمادِ على نفسِه مُسْتَقِلّاً عن أيّ مؤسَّسَةٍ تربويَّةٍ بطريقةٍ تَتَنَاسَبُ مع ميولِه و اتجاهاتِه و تَتَنَاسَبُ مع قدراتِه، و لاشكَّ في أهميةِ دورِ الدِّرَاسَةِ الصَّفِّيَّةِ في المدارسِ و الجامعاتِ و المؤسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ، إلا أنَّ التعليمَ الذَّاتِيَّ له تأثيرٌ إيجابيٌّ في تعزيزِ التَّعليمِ الصَّفِّيّ و تطويرِه و توسيعِ آفاقِه، و الحديثُ عن أهميَّةِ التَّعليمِ الذَّاتِيّ و تَعَدُّدِ مَزَايَاه و طرائقِه- حديثٌ طويلٌ، و البحثُ في محاورِه واسعٌ مُسْتَفِيضٌ، لكنَّنَا في هذا المقامِ نُوجِزُ أبرزَ طُرُقِه المتَعَلِّقَةِ بالدَّرْسِ النَّحْوِيّ:

1- **مراجعة الدروس النحوية:** إنَّ نسيانَ المادةِ العلميَّةِ أمرٌ بديهيٌّ، لا يدُلُّ على الغباءِ و لا على فشَلِ العمليَّةِ التعليميةِ، و لا يعني أنه خللٌ في المناهجِ أو قصورٌ في دور المعلم؛ فأيُّ علمٍ مُعَرَّضٌ للنسيانِ، و مُعْظَمُه يحدثُ نتيجةَ التَّدَاخُلِ و تَشَوُّشِ القديمِ بواسطةِ الجديدِ، و هذا ما يسمَّى ب (الكفِّ الرجعيّ) أو التَّعْطِيلِ الرَّجْعِيّ، فيما يُطْلَقُ على تَشَوُّشِ التَّعَلُّمِ الجديدِ بفعْلِ التَّعَلُّمِ السَّابِقِ اسمُ (الكفِّ البعديّ)[2]. و لا يُعَالَجُ هذا النسيانُ إلا بتعاهدِ ما دُرِسَ بالمراجعةِ، بل تكرارِ المراجعةِ بين حينٍ و آخر، و لو كانت المراجعةُ للمختصراتِ فلا ضير.

ثمة أمرٍ آخرٍ يجب أنْ نُشِيرَ إليه، و هو توسيعُ الثقافةِ العلمية، و هذا خيرُ معينٍ للحفاظِ على الأسسِ التعليمية؛ و ذلك لما يقومُ به المخُّ البَشَرِيُّ من عمليةِ السَّلْبِ و الإزالةِ و الاختزالِ؛ فقدرةُ العقلِ على معالجةِ المعلوماتِ و التجريدِ تعتمدُ بصورةٍ أساسيةٍ على فَقْدِ المعلوماتِ لا الاحتفاظِ بها، تعتمدُ على حَذْفِ التفاصيلِ من أجْلِ إبْرَازِ الجَوْهَرِ و اسْتِخْلَاصِ المغزى من شواشِ الضَّوْضَاءِ التي تُغَلِّفُه. وهذه خاصِّيَّةٌ فريدةٌ للمخِّ البشريّ تُحِيلُ السَّلْبَ (فقدا و اختزالا) إلى الانتظامِ (بناءً و أنماطاً)[3]. فالمراجعةُ لاستدعاءِ معلوماتٍ الْتَهَمَهَا النِّسْيَانُ، أمَّا توسيعُ دائرةِ الثقافةِ فهي للحفاظِ على المعلومةِ من النسيانِ، حينها الأُسُسُ العِلْمِيَّةُ تُحْفَظُ من آفةِ النسيانِ، لا تُنْسَى فَتُرَاجَعُ، لكن ما يلتهمُه النسيانُ في هذه الحالةِ التفاصيلَ و المطولاتِ. و من اللَّافِتِ للانتباهِ أن النسيانَ صفةٌ ملازمةٌ؛ إذا فُهِمَت القواعدُ و حُفِظَت تُنْسَى فَتُرَاجَعُ، و إذا وُسِّعَت الثقافةُ تُنْسَى حَتْمَاً التفاصيلُ و تَبْقَى الزُّبْدَةُ، و في جميعِ الحالاتِ لابدَّ من المراجعةِ (الزبدة و التفاصيل).

2- التَّنَوُّعُ في استخدامِ طرقِ التعلُّمِ و تطويرِ المهاراتِ (الكتب و المنشورات، وسائل الإعلام المختلفة، المواقع التعليمية عبر الشبكة العنكبوتية و برامجها التعليمية المتعددة، المؤتمرات و المحاضرات، الأنشطة الثقافية..).

---

[2] - ينظر: مدخل علم النفس، لندا دافيدوف، ترجمة: سيد الطواب، محمود عمر، نجيب خزام، مراجعة: فؤاد أبو حطب، الطبعة الثالثة، 1992م، الدار الدولية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ص: 338،331، 354.

[3] - ينظر لخاصية المخ البشري في السلب و الاختزال: الثقافة العربية و عصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي - ، نبيل علي، بدون طبعة، 2001م، عالم المعرفة، الكويت، ص:211- 212.

3- صَقْلُ المادةِ العلميةِ بقراءةِ و سماعِ النصوصِ الفصيحةِ، سواءً أ كانت من نصوصِ التراثِ (القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، الشعر، الحكم الأمثال، الخطب..)، أم من النصوصِ الفصيحةِ في العصرِ الحديثِ (شعراء و كتاب محدثون، إعلاميون مجيدون..)، كما يجب التنبُّهُ للغةِ الكتبِ العلميةِ؛ فمازالت و ستظل _ بإذن الله – مكتوبةً بالفصحى.

4- الممارسةُ و التدريبُ على توظيفِ اللغةِ و استخدامِها في التعبيرِ عن الأغراضِ المتنوّعَةِ في مواقفِ الحياةِ المختلفة، أي: محاولة التعبيرِ و الكتابةِ و الاجتهادِ في تَخَيُّرِ الألفاظِ، و صياغةِ الجملِ، و حُسْنِ نَظْمِهَا وِفْقَ قواعدِ اللغةِ؛ فاللغةُ الفصحى لغةٌ إبداعيةٌ، وظيفيَّةٌ، ليست عفويَّةً كالعاميةِ، و كتابةُ النصوصِ الفصيحةِ تَتَطَلَّبُ من الكاتب جهداً، و تأنِّياً، و محاولاتِ تعديلٍ، و نقداً، و تصحيحاً، و تذوُّقاً للنصِّ لتصويبِ أخطائِه و تقويمِ اعوجاجِه، و من ثَمَّ إخراجِه في أحسنِ صورةٍ و أتمّ حال؛ فمن أعظمِ الأخطاءِ الاعتقادُ بأنَّ اللغةَ الفصحى تُنْطَقُ و تُكْتَبُ بسهولةٍ و صورةٍ عفويَّةٍ؛ إذ لابدَّ من الاعتناءِ و التنبُّهِ لصحَّةِ القواعدِ.

دور المعلم في التعليم الذاتي:

1-التعريفُ بأهميةِ التعليمِ الذاتيّ، و توجيهُ الطالبِ و حثُّه على ذلك، و إرشادُه إلى طرقِه ووسائلِ تعلُّمِه.

2-إيجادُ فرصِ الممارسةِ و التدريبِ، و هذا عن طريقِ تكليفِه بالتعبيرِ عن موضوعٍ معينٍ، أو شرحِ درسٍ و إلقائه أمام الطلاب، واعتمادِ الأسئلةِ المقاليةِ في الامتحاناتِ، و الحذرِ من الاقتصارِ على الأسئلة الموضوعية؛ فحينها يُجْبَرُ الطالبُ على محاكاةِ الفصحى و التَّدَرُّبِ عليها. كما يجبُ على المعلمِ ألا يُغْفِلَ جانبَ التقدير؛ فالطالبُ المجيدُ يجبُ أنْ يقدَّرَ و يُشْكَرَ و يُنَوَّهَ به؛ ليحافظَ، و يثابرَ، و من ثَمَّ يكونَ قدوةً لغيره، أما الطالبُ الضعيفُ فيجبُ أن يُنَبَّهَه و يُوَجَّهَه بجدِّيَّةٍ لا تجريحَ فيها و لا إهانةً؛ حتى يَسْتَشْعِرَ بِقُبْحِ صنيعِه و يجتهدَ في تحسينِ مستواه.

الخاتمة:

قام هذا البحثُ على محاولةٍ توضيحيةٍ لسبلِ تدريسِ النحو العربي هادفاً تعزيزَ الحركةِ العلميةِ، و تنميتَها، و تطويرَها، و زيادةَ إنتاجيتِها، و تنميةَ إبداعِ الدارسين، و تحقيقَ ارتقائِهم الفكريّ؛ لذا تَمَخَّضَت عن هذا البحثِ النتائجُ الآتية:

1- كلَّما ازدادَ إدراكُ الدارسين بالفائدةِ العلميةِ للمادَّةِ المدروسةِ و عرفوا الهدفَ من دراستِها – زادَت رغبتُهم في التعلُّمِ، و كلما تَعَزَّزَت ثقتُهم بأنفسِهم و تراثِهم كان ذلك طريقاً لتحقيقِ تعليمٍ أرقى و نجاحٍ أفضلٍ.

2- ضرورةُ المختصراتِ لكل علْمٍ يُطْلَب؛ حتى تُضْبَطَ الأصولُ، و يُتْقَنَ فهْمُ الأُسُسِ؛ و إلا ضاعَ الدَّارِسُ في تِيَهِ المطَوَّلاتِ و ضَلَّ فِكْرُه لتَزَاحُمِ الأفكارِ المحْشُوَّةِ في ذهنِه، فما يأتي جملةً يذهبُ جملةً؛ شرطاً أن تكونَ المختصراتُ وِفْقَ الضوابطِ العلميةِ و العقليَّةِ لهذا الفنّ، سليمةً من غوائلِه، تهدفُ إلى استيعابِ هذه المطَوَّلاتِ و اهْتِضَامِها لا هدمِها و ضياعِها.

3- من الخطأِ قَصْرُ الدرسِ النحويّ على الإعرابِ و تلقينِ المعلومات، بل لابدَّ من تدريبِ الدارسين على بناءِ الجملِ و نَظْمِ الكلامِ على ضوءِ القواعدِ المدروسةِ، و من ثَمَّ توظيفِ هذا النظمِ في التعبيرِ عن أغراضِ الحياةِ المختلفةِ.

4- إنَّ الاكتفاءَ بالتعليمِ في قاعاتِ الدرسِ لا يعدُّ كافياً لإتمامِ العمليَّةِ التعليميَّةِ بحِذْقٍ و جدارةٍ، بل لابدَّ من تعزيزِ التعليمِ الصفيّ بالتعليمِ الذاتيّ؛ لاتِّبَاعِه أساليبَ تعليميةً غيرَ معتادةٍ تُلَبِّي حاجاتِ الدارس و تواكبُ تطوراتِ عصره؛ الأمرُ الذي يترَتَّبُ عليه تحسينُ قدراتِه، و تطويرُ مهاراتِه الشخصيةِ، و زيادةُ ثقتِه بنفسِه.

يُسْتَخْلَصُ من هذه النتائجِ أنَّ النحوَ العربيَّ كغيرِه من العلومِ له مطوَّلاتٌ و شروحٌ مُسْتَفِيضَةٌ و مُصَنَّفَاتٌ مُعَقَّدَةٌ، و لكن يقابلُ كلَّ ذلك مختصراتٌ مُسَهَّلَةٌ و كُتُبٌ مُيَسَّرَةٌ و أخرى شَارِحَةٌ لغوامِضِ مُصَنَّفَاتِه، و هو علمٌ ليس بالسَّهْلِ و لا بالصَّعْبِ لا يختلفُ عن غيرِه من العلومِ؛ علمٌ

لا يَنْزِلُ وَحْيَاً على دارِسِه، بل يُلْزِمُه بالاجتهادِ في الطَّلَبِ و التطبيقِ و المحافظةِ عليه؛ فلا استحالةَ في استيعابِه، و لا عَجْزَ و لا غباءَ في عقولِ دارسيه، لاسيما إذا اتضحَ الهدفُ و وُجِدَ المنهجُ الملائمُ؛ لذا فلا يصحُّ نَعْتُه بالصعوبةِ و التعقيدِ، و لا تَسْتَدْعِي إشكاليةُ فَهْمِه إلغاءَ دراستِه والاكتفاءَ بقراءةِ النصوصِ الفصيحة.

مراجع البحث:

1-اتجاهات النحو عند المحدثين (دراسة و تقويم)، أحمد جار الله الزهراني، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

2-التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

3-التطبيق النحوي، عبده الراجحي، الطبعة الثانية، 1998م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

4-تيسير الصرف، عبد القادر الفيضي، عبدالله الدرامي، بدون طبعة، بدون تاريخ، مجلس التعليم الإسلامي، كيرالا.

5-الثقافة العربية و عصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي- نبيل علي، بدون طبعة، 2001م، عالم المعرفة، الكويت.

6-دروس في الإعراب، عبده الراجحي، بدون طبعة، 1981م، دار النهضة، بيروت، لبنان.

7-الصرف الميسر – تقريب لامية الأفعال لابن مالك بأسلوبٍ عصريٍّ مع الأمثلة و الجداول و التدريبات-، عبد الشكور معلم عبد فارح، الطبعة الأولى، 2019م- 1440هـ، دار العلم، القاهرة، مصر.

8-العربية الجامعية لغير المتخصصين، عبده الراجحي، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

9-اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة " دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته"، حافظ إسماعيلي علوي، الطبعة الأولى، 2000م، دار الكتاب الجديد المتحدة ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية و الثقافة، طرابلس، الجماهيرية العظمى.

10- مختصر النحو، عبد الهادي الفضلي، الطبعة السابعة، 1400هـ – 1980م، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية.

11- مدخل علم النفس، لندا دافيدوف، ترجمة: سيد الطواب، محمود عمر، نجيب خزام، مراجعة و تقديم: فؤاد أبو حطب، الطبعة الثالثة، الدار الدولية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر.

12- مهارات العربية في النحو و الصرف، عبده الراجحي، بدون طبعة، 1427هـ/ 2007م، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، القاهرة، مصر.

13- النحو الكافي، أيمن عبد الغني، مراجعة: رمضان عبد التواب، إبراهيم الإدكاوي، رشدي طعيمة، رفع: عبد الرحمن النجدي، الطبعة الواحدة و العشرون، 2010م، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، مصر.

14- النحو الميسر، أحمد عبد المعطي، الطبعة السادسة، 2004م- 1425هـ، دار الوفاء، المنصورة، مصر.